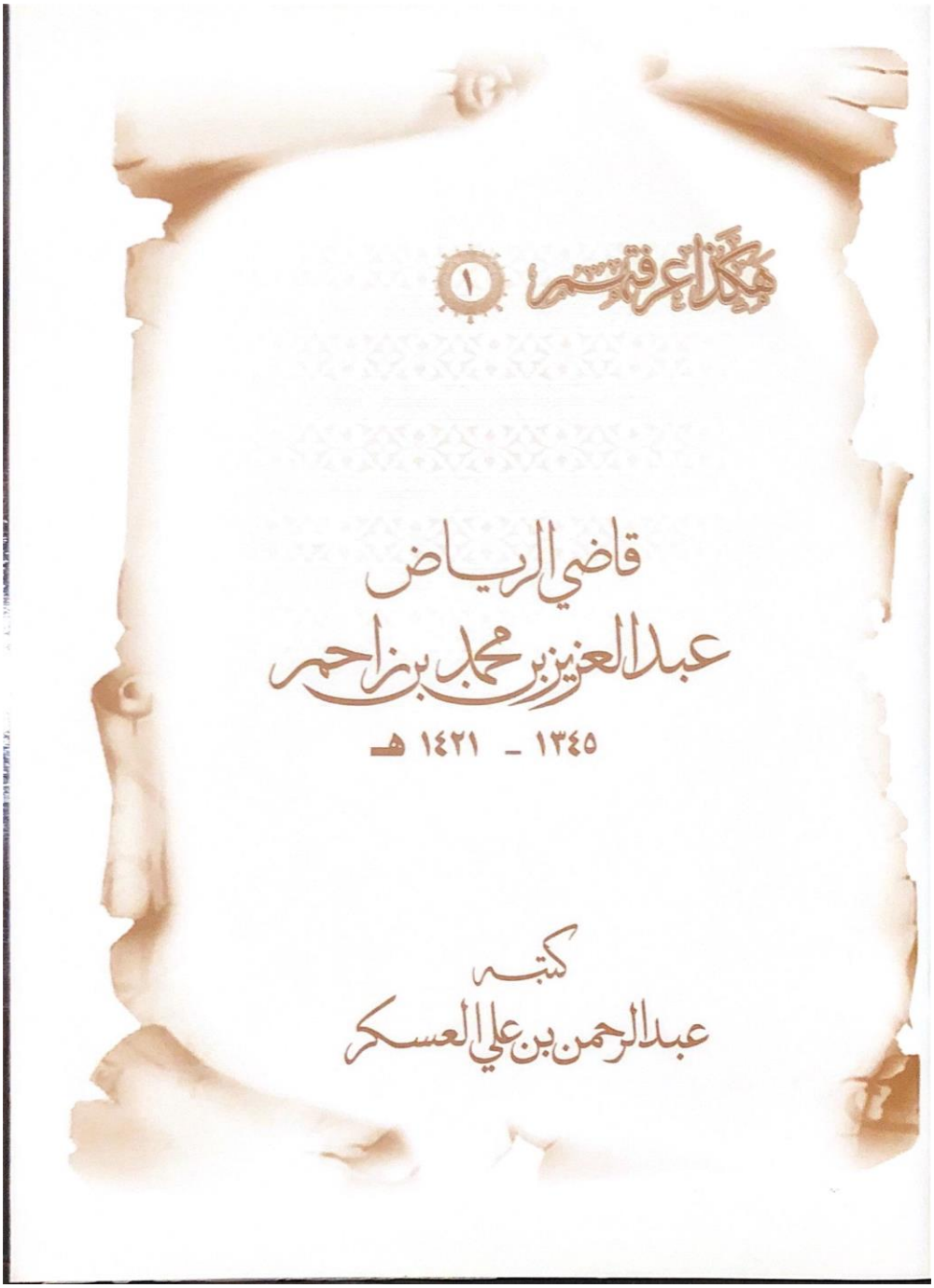
هكذا عرفتهم ١
قاضي الرياض
عبدالعزيز بن محمد بن راحم
١٣٤٥ - ١٤٢١ هـ
كتبه
عبدالرحمن بن علي العسكر

هكذا عرفتهم

قاضي الرياض

عبد العزيز بن محمد بن زاحم

١٣٤٥-١٤٢١

كتبه

عبد الرحمن بن علي العسكر

ح عبد الرحمن علي العسكر، ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العسكر، عبد الرحمن علي محمد
هكذا عرفتهم قاضي الرياض عبد العزيز بن محمد بن زاحم
عبد الرحمن علي محمد العسكر – الرياض، ١٤٣٢هـ
٣٩ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٨-٨٢٢٧-٠٠-٣، ٦-٩٧٨
١ – ابن زاحم، عبد العزيز بن محمد، ت ١٤٢١هـ ٢ – القضاة السعوديون أ. العنوان:
ديوي ٩٢٢.٥٨٤ ١٤٣٢/٨٣٨٣
رقم الإيداع: ١٤٣٢/٨٣٨٣
ردمك: ٨-٨٢٢٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

فاتحة

قال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي في آخر كتابه مراتب النحويين بعد أن أنهى تراجم النحاة قال :

وما أخللنا بذكر أحد إلا لسبب :

إما لأنه ليس بإمام ولا معول عليه.

وإما لأنه لم يخرج من تلامذته أحد يحيي ذكره.

ولا من تأليفه شيء يَلزمُ الناس نشره.

(مراتب النحويين / ٩٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد :

فقد كنت ترجمت لبعض العلماء في بعض الصحف بعد وفاتهم، وقد لقيت تلك التراجم قبولا عند قارئيها، مما حداني أن أعيد النظر فيها لأخرجها بشكل مستقل، لعلي أفي ببعض حق أولئك العلماء علينا، من خلال إحياء ذكرهم، واستمرار دعاء الناس لهم.

وغالب تلك التراجم إنما أخذتها من أفواههم مباشرة أثناء حياتهم، مما يعطيها قوة ومصداقية .

وبين يديك ترجمة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن محمد بن زاحم - رحمه الله -.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الرحمن بن علي العسكر

تمهيـد:

يظـن كثـير مـن النـاس أن الكتابـة سـهلة ، وأن الإنسـان إذا أراد الكتابة عن موضوع ما فما عليه إلا أن يمسك القلم، ثم يكتـب ليقـال فيما بعد: لقـد كتـب فـلان ، ولكـن الصـحيح أن الكتابـة مـن أصـعب الأمور.

فالكتابة على أنواع كثيرة ، وأحيانا يكتـب الكاتـب، ثـم يجـد أنـه لم يأت ببعض ما في خاطره، خصوصا إذا كان يكتب عن موضـوع كـان له شأن كبير في حياته ، فقـد لا يسـتطيع أن يعـبر عـن كـل مـا في قلبـه، ومثل ذلك الشاعر المبدع، فإنك تجده يجيد الوصف والتشبيه، ويجيـد المـدح كـما يجيـد الرثـاء، إلا أنـه في هـذا الأخـير ـ وأعنـي الرثـاء ـ لا يستطيع أن يحرك شفة، أو ينظم بيتـاً، إذا كـان يريـد رثـاء شـخص لـه المكانـة الكـبرى في قلبـه ، ومهـما حـاول مـن ترتيـب أبيـات، فإنـه لـن يستطيع أن يأتي بذلك النظم المجيد، الذي كان يقوله في المـاضي ، ولا لوم عليه في ذلك .

ومهما حاولت هنا الكتابة؛ فإني لن أستطيع استيعاب كل مـا أريـد الحديث عنه ، لأنني لسـت أتحـدث عـن شـيخ فقـط، بـل هـو في مقـام

أب، ولست أتحدث عن معلم فقط، بل هو أعظم من ذلك، فقد كان بمثابة الوالد والمربي ، والوالد والمربي هما أعظم شخصين يؤثران في حياة الإنسان مهما كان ، ولأجل ذا فإن فقد المرء لهما ـ حتى وإن كان قد قوي عوده ـ لا بد أن يكون له أثر على حياته، فما يستطيع أن يعبر عن دواخل قلبه .

ومهما حاول الإنسان من حديث فإنه لا يستطيع أن يفي بما يختلجه من مشاعر، خاصة إذا كان الفقيد يمثل ركناً أساسياً في حياة الكاتب، فكيف إذا كانت هناك أمور أخرى تجتمع لتزيد من الحاجة إلى الحديث .

أكثر من عشر سنوات متواصلة وأنا ألازم شيخي الشيخ : عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن زاحم.

كانت لي معه علاقة فوق كل علاقة .

ليست علاقة شيخ بطالب يدرس عنده فقط.

بل ارتقت إلى أعلى من ذلك.

كان لي خلال تلك الفترة شيخا معلما.

ووالدا ناصحا.

تواصلت العلاقة بيني وبينه حتى بلغت أن يسأل عني إذا غبت

عن موعد الدرس.

عسى أن لا يكون حصل لي عارض من عوارض الدنيا.

لما انتقلت من مسكني القريب من مسكنه ، بعث من يبحث عني ليخبرني بأن الشيخ لهج بالسؤال عني كثيرا .

كان أول التحاقي بالعمل الحكومي حين تعينت معلما في مدينة الجبيل ، ومع ذلك كنت أتواصل معه كل أسبوع باتصال، أو بزيارة أيام زيارتي لأهلي في الرياض.

كنت أستشيره في خواص أموري، فما أجد منه إلا النصيحة الصادقة التي أجد مصداقها فيما بعد.

ومهما ذكرت في وصفه وترجمته فما أظن أني أفي بجزء من حقه علي ؛ لكن حسبي أنني أبذل جهدي.

وكنت قد طلبت منه أثناء حياته أن يملي علي شيئا من ترجمته فأبى، وقال لي : هذه أمور الفائدة منها قليلة، ولكن أشغل نفسك بما ينفع.

وفي آخر حياته قبل ما يقارب سنتين من وفاته: حين بدأت صحته تتغير، بدأ يتكلم بين الفترة والأخرى عن بعض حياته ، يقطع

بها الدرس ، فبدأت من ذلك الحين أقيد كل ما يقول، حتى اجتمع لدي الآن بعد وفاته ما يفي بالغرض.

وأنا حين أذكرها لم آت بشيء من عندي إنما هي ترجمته تتبعتها من كلامه.

حاولت ذكرها هنا بعد أن ضممت إليها بعض ما خلفه من آثار .

اسمه وولادته :

هو الشيخ : عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن زاحم، من أسرة آل زاحم المعروفة التي قدمت أول ما قدمت من تربة ثم استقرت في القصب ثم تفرقت بعد ذلك في أماكن شتى.

ولد شيخنا عام : ١٣٤٥هـ في القصب.

تربى عند والديه وحفظ القرآن في صغره.

يقول لي ـ رحمه الله ـ : حفظت القرآن عند الشيخ عبد العزيز بن محارب رحمه الله في القصب وأنا صغير .

بعد ثلاثة عشر عاما من ولادته فقد بصره بسبب مرض يسمى الرمد الصديدي.

لكن ذلك لم يثنه عن السعي في طلب العلم.

انتقاله للرياض وطلبه للعلم :

قال لي ـ رحمه الله ـ : (في عام ١٣٦٣هـ قدمت إلى الرياض وبدأت في طلب العلم).

والتحق الشيخ بعد مقامه في الرياض بمعهد الرياض العلمي ودرس فيه.

وتخرج فيه سنة ١٣٧٤هـ ، وكان ترتيبه الرابع بين اثنين وعشرين طالبا .

ثم التحق بكلية الشريعة، وتخرج فيها عام ١٣٧٨هـ ، وكان ترتيبه السابع بين أربعة وأربعين طالبا.

استفاد كثيرا أثناء دراسته في المعهد والكلية من علماء كبار درسوه فيهما، كما ذكر لي غير مرة، وسيأتي ذكر بعضهم.

كان أثناء الدراسة يطلب العلم على مشايخ الرياض.

كما كان يؤم بعض المساجد في الرياض أثناء دراسته في المعهد والكلية ، وسيأتي الحديث عنها .

العلماء الذين أخذ عنهم :

كان الشيخ رحمه الله متأثرا تمام التأثر بكثير من العلماء الذين درس عليهم ، ومن هؤلاء العلماء :

١ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم (١٣٧٤هـ) ـ رحمه الله:

قال لي: لما قدمت إلى الرياض قرأت عند الشيخ عبد الله ومعي ابن خيال، كنت أقرأ عليه في الآجرومية حفظا، والشيخ ابن خيال يقرأ

عليه شرح ابن عقيل على الألفية.

لكن ما لبث الشيخ عبد الله بن زاحم أن انتقل قاضيا في المدينة .

٢ـ ومنهم : الشيخ عبد الرحمن الأفريقي ، يقول شيخنا : استفدت من الشيخ الأفريقي كثيرا أثناء تدريسه لنا في المعهد العلمي في عام ١٣٧٠هـ وما بعده، قرأنا عليه عمدة الأحكام، وقرأنا عليه في المصطلح .

٣ـ ومنهم الشيخ العلامة : محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ وهو من العلماء الذين استفاد منهم، بل رأيت ذلك واضحا في كثرة كلامه عنه.

يقول : (درست عليه في التفسير وأصوله وأصول الفقه، وكان يقول : بقي علي من التفسير جزآن).

كان كثيرا ما يتكلم عن شيخه الشنقيطي، ويذكر نصائحه للطلاب، وقصصا كثيرة عنه.

منها أنه يقول: كنا نسير مع الشيخ الشنقيطي بعد خروجه من الفصل، فرأى أوراقا معلقة على الجدار فقال : ما هذه؟ فقال الطلاب : هذه من أنشطة الطلاب ، فقال الشنقيطي: دعوا هذه،

وعليكم بالعلم ، فالشاعر يقول :

وبادر العلم فالعلم أهم فالعلم ضيف زار أو طيف ألم

وكان شيخنا دائما ما يردد علي هذا البيت ، كلما جنحت في حديثي معه عن أشياء لا علاقة لها بالعلم ، فيعاتبني بهذا البيت.

٤ـ ومنهم الشيخ عبد العزيز بن باز (١٤١٩هـ) رحمه الله:

يقول شيخنا : درست عليه عام الثمانين، أول مقدمه من الدلم، في التوحيد، ثم قرأت عليه قليلاً بعد ما قدم من المدينة.

٥ـ ومنهم الشيخ : عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٦هـ) رحمه الله : درس عليه الفرائض وعلم المواريث.

٦ـ أما شيخه الكبير بلا منازعة، فهو مفتي الديار السعودية في وقته، الشيخ العلامة: محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٦هـ) رحمه الله تعالى:

فمنذ أن قدم شيخنا من القصب إلى الرياض عام ١٣٦٣هـ وهو ملازم للشيخ محمد بن إبراهيم، إلى أن توفي الشيخ محمد رحمه الله.

قال لي غير مرة : قرأنا عليه في التوحيد والفقه ، وكنت بعد ما تعينت في القضاء أزوره دائماً ، خصوصا بعد الفجر، فإن لم أتمكن من

ذلك زرته في بيته بعد طلوع الشمس، لأسأله عن بعض ما يشكل من القضايا.

وعلاقة شيخنا بشيخه الشيخ محمد كانت متواصلة، لأن شيخنا ابن زاحم عمل في الرياض، سواء في التدريس أو القضاء مما جعله قريبا من شيخه ، وذلك بخلاف غيره من طلاب الشيخ الذين تفرقوا في أرجاء هذه البلاد للعمل والدعوة .

كان الشيخ يقول : استفدت من الشيخ كثيرا في التوحيد والفقه، وكان الشيخ يهتم بطلابه ويسعى إلى كل ما يريحنا.

حياته أثناء الطلب :

كان أثناء دراسته في المعهد والكلية يسكن مع الإخوان: قال لي مرة : كنا نسكن في بيت واسع، فيه ما يقارب ثلاثين غرفة ، ثم استؤجر للإخوان بيت أو بيتان في الوسيطا[1]، كانت ملكا للطبيشي-، تكون محلا للمذاكرة في الليل، ثم استؤجر بيت آخر خارج الوسيطا.

(١) الوسيطا : أحد أحياء مدينة الرياض القديمة .

يقول رحمه الله : كنت مع الإخوان[١] في كل هذه البيوت ، والناس قليلون ليسوا مثل حالهم اليوم، زحام وضيق ، كان يكفينا القليل بخلاف اليوم.

ثم نزل الإخوان بيتا للشيخ عبد اللطيف، كان قد اشتراه من إحدى بنات الملك سعود ، ثم خرج منه الإخوان.

وكان الناس لا يرغبون في تأجير منازلهم للإخوان ، وكانوا يقولون: إنهم يوسخونها ولا يهتمون بها، والله المستعان .أ.هـ

كان أيام الطلب مغرما بالقراءة، ولذلك كان يجتمع هو والشيخ حسن بن مانع والشيخ حمود بن سبيل – عليهم جميعا رحمة الله–.

كانوا يجتمعون في المساء، ويقرأ عليهم أحد زملائهم، ويقرؤون إلى أن يمضي جزء من الليل .

يقول ابنه عبد الله : كنت أذهب بوالدي وأنا صغير، وكنت أنام عندهم، فإذا انتهوا من القراءة أيقظوني، فنرجع إلى البيت.

وبسبب غرام الشيخ رحمه الله منذ صغره بالقراءة، فقد بدا ذلك واضحا في سعة علمه وكثرة اطلاعه .

---

(١) (الإخوان) كلمة تطلق سابقا ويعنى بها طلبة العلم.

وقد سألته مرة عن الشيخ فيصل بن مبارك ، وهل التقى به ، فقال : أنا لا أعرف الشيخ فيصل، إلا أني لما كنت في مسجد يسمى مسجد الدقسي[١] سمعت الشيخ فيصل يفسر القرآن يقول : (وإذا رأيت ثَّمَّ) أي هنا ، فهو يفسر بعض الكلمات وليس تفسيره في الدرس شاملا ولا متكلفا ، وهو من الذين درسوا على شيخنا محمد بن إبراهيم قديما قبل افتتاح المعهد.

ومما ذكره ابن زاحم عن بعض من درسوا معه أنه قال ذات مرة : كان يدرس معنا على الشيخ محمد بن إبراهيم واحد من أهل الجوف ، أتاه شخص فقال له قل للنصيبي ، سنقرأ عليك في الفاروع .

فقال له : وما الفاروع؟

قال : كتاب ابن مفلح.

قال ابن زاحم : والنصيبي هو ابن نصبان، وهو إمام مسجد القديري، الذي سمي فيما بعد مسجد ابن عبيد في شارع الثميري .

---

(١) مسجد الدقسي هو تسمية لمسجد حوطة آل ريس ، بناه الإمام عبدالرحمن الفيصل ، وسمي بمسجد الدقسي نسبة إلى مؤذنه: أبي سالم إبراهيم الدقسي ، وقد دخل هذا المسجد ضمن تطوير منطقة قصر الحكم في الرياض ، انظر : تاريخ المساج والأوقاف القديمة بمدينة الرياض ، راشد بن عساكر .

أعماله ووظائفه :

تدريسه في معهد الرياض وكلية الشريعة :

بعد تخرج الشيخ من الكلية عين مدرسا في المعهد العلمي بالرياض، أي في سنة : ١٣٧٩ هـ، ومكث فيه سنتين.

ثم انتقل بعد ذلك إلى التدريس في كلية الشريعة في عام ١٣٨١هـ.

ومكث فيها أربع سنوات.

وكان مجيئه إلى الكلية بعد بداية العام الدراسي، أي بعد أن وزعت الحصص والمناهج، فلم يجدوا إلا جدولا واحدا تغطي مواده مراحل مختلفة من المتوسط والثانوي، ويشتمل على مناهج مختلفة، من مواد العلوم الشرعية واللغة العربية، فما كان بد من أن يسند الجدول إلى شيخنا رحمه الله.

ومن الطرائف هنا : أن هذا الجدول كان قد أسند إلى مدرس لم يكن في وسعه القيام به على الوجه اللائق، وحينما أحس الطلاب بعدم قدرته ، كتبوا على السبورة قبل حضوره هذا البيت من الشعر :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

عند ذلك اعتذر المدرس عن هذا الجدول، فوافق تعيين الشيخ ابن زاحم في المعهد، فوكل إليه تدريس هذه المواد المتعددة، فكان فيه شيئا لا يوصف.

يقول أحد طلابه في تلك السنة وهو الدكتور : عبد العزيز الربيعة ـ عضو مجلس الشورى حاليا ـ جاءنا الشيخ في ذلك العام، فدرسنا مادة الأدب، فتكلم لنا عن أمور ما كنا نعلمها من قبل ، وكان يطلب منا قراءة كتب موسوعية في الأدب، مثل : العقد الفريد والموازنة ، وغيرها من الكتب الكبيرة ، حتى إنه أملى علينا أسماء كتب لا زلت أحتفظ بورقة كتبت فيها أسماء تلك الكتب ، وكان له اهتمام كبير بالأدب والتاريخ، وفي الحقيقة فقد انتفعنا بالشيخ كثيرا أثناء تدريسه لنا تلك السنة .أ.هـ .

وقد كان لتدريسه في المعهد والكلية أثر عليه في بقية حياته مما أكسبه بعد توفيق الله تعالى قوة علمية، ظهرت عليه، يعرفها المقربون منه ، كما كان لكثرة اطلاعه وحبه للقراءة حتى قبيل وفاته ـ رحمه الله ـ دور في ذلك .

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم يبعث ابن زاحم أثناء دراسته في

الكلية إلى بعض المحاكم قاضيا مؤقتا خلال العطلة الصيفية ، مما أوجد عند الشيخ قدرة وملكة على القضاء بين الخصوم .

توليته القضاء :

في عام ١٣٨٥ هـ استدعاه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وقال له: نريدك أن تكون قاضيا ، فالتدريس ليس مثل القضاء ، القضاء حاضر بحاضر ـ يعني أن النتيجة تظهر بسرعة ـ فنحن نريد منك أن تكون قاضيا .

يقول شيخنا رحمه الله : (فقلت للشيخ : التدريس يطلب الجواب في الحال ، أما القضاء فإن القاضي يؤجل القضية ويبحث عنها على مهل ، فالتدريس أنفع للإنسان ، فقال لي الشيخ محمد : ولو) .

فعينه الشيخ محمد بن إبراهيم في محكمة الرياض عام ١٣٨٥ هـ يقول شيخنا ـ رحمه الله ـ : كنا في محكمة الرياض أربعة قضاة: (ابن هويمل وابن مهيزع وابن فارس وأنا ، ومع ذلك كنا نشتكي من قلة القضاة وكثرة القضايا ، رغم قلة الناس ، وكنا مع ذلك ننجز جميع القضايا ، ولا نؤجل منها إلا القليل ، وتنتهي أمور الناس بسرعة) .

واستمر في العمل في محكمة الرياض قرابة اثنتين وعشرين سنة،

انتقل بعدها إلى محكمة التمييز في الرياض في عام : ١٤٠٧هـ.

واستمر في القضاء إلى عام : ١٤١٥هـ حيث أحيل إلى التقاعد لبلوغه السن النظامية .

كان رحمه الله حازما مع الخصوم، هادئا متواضعا .

أمضى حياته في هذا العمل في نزاهة وحزم، يشهد له بذلك جميع من لازمه أو احتاج إليه.

وبعد إحالته للتقاعد انقطع في بيته عن الناس .

توعية الحجاج :

ومن الأعمال التي قام بها أيضا كما حدثني بذلك : أنه اشترك في توعية الحجاج لمدة أربع سنوات ابتداء من عام ١٣٨١هـ، كان يجلس بالمسجد الحرام يجيب على أسئلة الحجاج واستفتاءاتهم.

إمامته وخطابته :

تولى شيخنا إمامة عدة مساجد منذ أيام طلبه للعلم :

ففي عام ١٣٧٥هـ صلى إماما لمسجد الإمام عبد الرحمن في

القري[١]، المجاور لكلية الشريعة – قديما – ، واستمر فيه حتى عام: ١٣٨٥هـ .

وكان يجلس في هذا المسجد لبعض الطلبة للقراءة في التوحيد والتفسير .

وفي عام : ١٣٨١هـ تقريبا اختير ليكون خطيبا لجامع الحسي-المجاور لبوابة الثميري ، ومكث فيه خطيبا ثلاث سنوات، وكان يصلي بالناس في هذا المسجد لصلاة الفريضة الشيخ : صالح بن محمد اللحيدان – رئيس مجلس القضاء سابقا – ، وكان الشيخ صالح خطيبا لجامع المطار في نفس الوقت ، هكذا حدثني شيخنا رحمه الله .

ومن العجيب هنا: ولعله مما يعد نادرة لشيخنا ابن زاحم رحمه الله: أنه أثناء خطبته لهذا الجامع جاءه طامي [٢]ـ صاحب الإذاعة

---

(١) القري : أحد أحياء مدينة الرياض القديمة .

(٢) اسم طامي هو لقب الشهرة، واسمه الحقيقي هو عبد الله بن سليمان العويّد، من مواليد بريدة بالقصيم (١٣٤٣ه) وكان له اهتمام باللاسلكي، حصل على مرسلة لاسلكية قديمة (من لاسلكي الرياض) فحوّلها إلى مرسلة إذاعية يمارس عليها هوايته، مستفيداً من الفراغ الإذاعي الذي كانت تعيشه بعض مناطق المملكة، بدأت إذاعة طامي سنة ١٣٨١ه في الرياض ، وقد استمرت إذاعته أكثر من عامين، حيث لم تتوقف إلا بعد أن تم تركيب =

المعروفة ـ فاستأذنه في أن ينقل خطبته الجمعة في إذاعته ، وذلك لقرب مكان إذاعته من هذا الجامع الذي يخطب به الشيخ، فأذن له الشيخ، فصار الناس يستمعون إلى خطبة الجمعة عبر إذاعة طامي.

فأقول هنا : فلعل شيخنا ـ رحمه الله ـ يكون أول خطيب تنقل خطبته عبر الإذاعة .

صفاته وسجاياه :

كان رحمه الله متوسط القامة، كثيف اللحية، حنطي اللون، عليه مهابة ، يقدر من أمامه ويجله .

كان رحمه الله مغرما بالقراءة أيما غرام ؛ ويندر أن أسأله عن كتاب إلا وأجد عنده علما عنه.

وفي أغلب الأحيان يقول: قد قرأنا هذا الكتاب.

= أول مرسلة تقوية إذاعية تخدم منطقة الرياض (١٣٨٣هـ) كان يتخذ من إحدى الشقق في عمارة الأمير محمد بن سعود الكبير في شارع الملك فيصل (شارع الوزير سابقاً) مقرّاً لإذاعته، ولأنها كانت تبث على موجة قصيرة، فلقد كانت تسمع أحياناً في مناطق مجاورة، توفي سنة (١٤٢١هـ) بعد معاناة مع المرض.

بل كان يقرأ في كل أوقاته، حتى وهو في مكتب القضاء.

سألته مرة عن أحد كتب الحديث الستة فقال: قرأناه في المكتب.

فقلت له : من العجيب يا شيخ أنك في مكتب القضاء ويقرأ عليك كتب الحديث ، الغالب على القضاة أنهم إن قرأوا فيقرؤون كتب الفقه.

فقال : أحيانا يأتي وقت في اليوم لا يأتي فيه خصوم ، فنستفيد منه في القراءة.

ثم بدأ يعدد لي أسماء الكتب التي قرأها في المكتب .

كان شيخنا آية في الحفظ .

كان يأمرني أن أقرأ عليه فهرس كتاب معين ، ثم إذا انتهيت قال: افتح صفحة كذا، وصفحة كذا، لمواضيع يريدها قد حفظ مواضعها.

وليت الأمر يقف هنا ؛ بل إنه رحمه الله يأتي بعد فترة طويلة فيطلب مني أن أفتح صفحات في هذا الكتاب، لا زال يحفظ أرقامها.

قرأت عليه مرة فهرس الجزء الأول من كتاب المغني، وبعد شهرين طلب مني أن أحضر الكتاب، وأمرني بصفحات معينة لم

تذهب من حفظه ، وما أظن قوة الحفظ التي عنده إلا بتوفيق الله عز وجل، ثم لصفاء ذهنه وانقطاعه عن أمور الدنيا .

كنت أمضي معظم الوقت معه في القراءة، فإذا انتهينا صار حديثنا عن الكتب الجديدة التي طبعت حديثا، ومن أخرجها.

كان يحزن كثيرا إذا حدثته عن الاختلافات التي تقع بين طلبة العلم، ويقول : لو شغلوا أنفسهم بالعلم كان أولى.

ولا يتكلم في مجلسه عن أحد من الناس أبدا .

وقد برز رحمه الله في الحديث، والعقيدة، والتفسير، وأسماء الرجال من رواة الحديث.

قل أن يمر به رجل من رجال الحديث، إلا ويخبرني به جرحا وتعديلا.

ثم نقرأ ترجمة الرجل في خلاصة تهذيب الكمال أو في التقريب فنجده كما قال.

قرئت عليه رحمه الله كتب ما أظن أنها قرئت على أحد، مثل كتاب: تحفة الأشراف في معرفة الأطراف للحافظ المزي، فقد قرئ عليه كاملاً .

آثاره العلمية وتلاميذه والمستفيدون منه :

لم يؤلف الشيخ رحمه الله كتاباً ، وإنما كان أيام شبابه يكتب بعض الردود المختصرة على بعض الكُتَّاب.

كتب ردا على قصيدة وزعت في حج عام : ١٣٨٩هـ ، ونشر هذا الرد في جريدة المدينة.

كما كتب ردا على أبي تراب الظاهري في إباحته للغناء، ونشره في مجلة راية الإسلام التي صدرت عامي ١٣٨٠ و١٣٨١هـ، وكان يرأس تحريرها الشيخ صالح اللحيدان، وسيأتي تفصيل هذين الردين في آخر هذا الكتاب .

أما الطلاب فكما سبق في تفاصيل حياته فإنه لم يجلس للطلاب إلا قليلاً جداً.

لكن بعدما انتقل إلى مسكنه الأخير في حي العليا بمدينة الرياض قرأ عليه إمام الجامع القريب منه، أخونا الشيخ : عبد الله الخضير كتبا كثيرة جدا.

وكان الوقت من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس كل يوم.

وكنت جاره في السكن، فكنت آتيه بعد صلاة المغرب ثلاثة أيام

في الأسبوع.

قرأت عليه فيها في التوحيد والفقه والحديث.

فمما قرأناه: حاشية الروض المربع كاملة، وغالب الدرر السنية لم يبق منها إلا أجزاء قليلة ، وشرح عمدة الأحكام، وبعض فتاوى شيخ الإسلام ، ثم ابتدأنا في قراءة سنن الترمذي ثم انقطعنا عن قراءته قبل وفاة الشيخ بأشهر لظروفه الصحية وقد أمضينا من الكتاب جزءا كبيرا.

أما أخونا الشيخ الدكتور عبد الله الخضير فقد فاز بالحظ الكبير من القراءة على الشيخ ، وكان شيخنا يقول : لو حملت الكتب التي قرأها الشيخ عبد الله في سيارة لملأتها ، فقد قرأ عليه كثيرا من كتب السنة، وفتاوى شيخ الإسلام، وكتبا في الفقه والعقيدة كلها من المطولات.

وقد سبق أن استفاد منه طلبة كثيرون أيام تدريسه في المعهد ثم في كلية الشريعة منهم : الدكتور عبد العزيز الربيعة والدكتور صالح السعود العلي والدكتور عبد العزيز السعيد والشيخ محمد بن حمود والشيخ عبد الله بن حرقان، وغيرهم كثير، يصعب الإحاطة

بأسمائهم جميعا .

وفاتـــــه :

أمضى الشيخ حياته متمتعا بكل حواسه وقدراته.

وقبل وفاته بسنة ونصف، بدأ يحس بضعف في بنيته، من غير مرض، فنحل جسمه شيئاً فشيئاً.

إلى قبيل وفاته بأشهر، بدأ صوته في الضعف، فأدخل المستشفى ومكث فيه مدة، إلى يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان عام ١٤٢١هـ .

وفي صبيحة ذلك اليوم فاضت روحه، وقد رفع أصبعه على التشهد.

ثم صلي عليه من الغد في جامع الراجحي، ثم دفن في مقبرة النسيم رحمه الله.

غادر الدنيا محمود السيرة، محبوبا من كل من يعرفه ، رفع الله درجته في عليين ، وأخلفه في عقبه في الغابرين.

خلف وراءه ثلاثة أبناء وبنتاً واحدة هم : عبد الله ومحمد وإبراهيم وأختهم، بارك الله فيهم، ونفع بهم .

بعض من مقالاته رحمه الله

تعقيب على ما قاله أبو تراب زاعما أن الكتاب والسنة لم يحرما المعازف ونشر كلامه في (الرائد عدد (٤٧) بتاريخ ٦/ ١/ ١٣٨١هـ)

لا يرتاب من كان عنده أدنى مسكة من عقل في بطلان ما قاله هذا الكاتب، من إباحة المعازف والاستماع إليها، فقد ركب في حصول مقصوده صعباً، وسلك وعراً، ودون ما رامه خرق القتاد.

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

فأصبح بمقاله الشنيع هدفا لسهام كل غيور، وفتح على الناس باب شر، وشجعه الرعاع وضعاف العقول على ولوجه، مع ما هم فيه من الشر.

والمعازف محرمة، يعلم ذلك من تأمل النصوص، ونظر في العواقب، وما يترتب على استعمالها، والتمادي فيه من الفساد.

أما من لم يمعن النظر أو غلب عليه الهوى، أو تأثر بشخصية ما، فإن هذه الأمور ولا شك تحول بينه وبين الصواب، وتكون سحابة كثيفة بينه وبين سماء الحرية، التي جاء بها الدين.

فالواجب على كل مسلم أن يذب عن الشريعة الغراء ، وأن ينشر الفضيلة في المجتمع، المتشوف للعزة والكرامة، لا سيما في هذا

العصر، الذي طغت فيه المادة، وكبلت فيه المدنية الكثير من الناس، فأصمتهم عن سماع الحق، وعن قبوله ، ودفعتهم إلى الرذيلة دفعاً عنيفاً، فقل المستبصر في دينه ، وغلب على الكثير التقليد الأعمى، فانتشرت الخلاعة في المجتمع ، وصاروا لا يعبؤون بما جاء في الشريعة السمحة.

ومن أعظم أسباب ذلك الغناء وآلاته ، فقد مال إلى ذلك الكثير، ودخلت المدر والوبر، حتى ولجت إلى العذارى في خدورهن ، فهي تحرك الشهوة الفاجرة، وتوقظ الشعور الكامن، وتصد عن ذكر الله، وتزود القلوب بالتعاليم الشيطانية، من العود والرباب وما يتبع ذلك.

والأدلة على تحريم الملاهي من الكتاب والسنة كثيرة :

قال تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الحشر: من الآية٧).

وفي صحيح البخاري بشرح الكرماني (٢٠/ ١٤٦) قال هشام بن عمار: حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عبد الله بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس الكلاني حدثنا عبد الرحمن بن غنم الأشعري حدثني

أبو عامر أو أبو مالك الأشعري ـ والله ما كذبني ـ (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف).

وروى ابن ماجه قال : حدثنا عبد الله بن سعيد عن معاوية بن صالح عن حاتم بن حريث عن ابن أبي مريم عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، يضرب على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير) صححه ابن حبان وابن القيم في الإغاثة (١/ ٢٦٠)، وله شواهد[١] .

فتأمل أيها القارئ هذه الأدلة، واطرح قول من طعن في الأحاديث الصحيحة، فقد نقل الكاتب في مقاله عن ابن حزم الأحاديث التي جاءت في الغناء ، وزعم أن حديث البخاري منقطع، لأنه رواه عن شيخه هشام بقال.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٠٢٠) وابن حبان (١٣٨٤ - موارد) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٩٥ و١٠/ ٢٣١) وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ١٠٧/ ٣٨١٠) وأحمد في المسند (٥/ ٣٤٢).

وما أسمج هذا القدح وأبرده، بل ما أبعده عن الصواب ، فدعوى الانقطاع بين البخاري وهشام دعوى لا حقيقة لها ولا تصح.

وقد شنع الحفاظ على من ادعى ضعف الحديث، وردوا عليه ، كيف ؟ والبخاري قد لقي هشاماً وروى عنه ، وعند المحققين في علم المصطلح أن الراوي إذا روى عن من لقيه بقال أو بعن، أن ذلك محمول على السماع، ما لم يكن مدلساً وحكم حديثه عنه الاتصال ، والبخاري رحمه الله من أبعد الناس عن التدليس والتساهل ، وابن حزم نفسه يرى هذا، ففي حاشية شرح ألفية العراقي (١/ ٣٣) نقلاً عنه من بعض كتبه: أن العدل الراوي إذا روى عن من أدرك من العدول فهو على اللقاء والسماع، سواء قال أنبأنا أو حدثنا، أو عن فلان، أو قال فلان، فكل ذلك محمول منه على السماع.

فهذا اعتراف منه باتصال حديث البخاري إلى هشام، وحكم منه بصحته، ولا أدري كيف ذهل عن كلامه هذا، وطعن في الحديث في محلاه.

وقد رد العلامة ابن القيم في الإغاثة (١/ ٢٦٢) الطعن في

الحديث بما ملخصه :

١ـ ما ذكرته قريبا من أن البخاري لقي هشاماً وروى عنه .

٢ـ لو لم يكن سمعه من هشام لم يستجز الجزم به، إلا وقد صح عنده أنه قد حدث به .

٣ـ أورده في صحيحه محتجاً به، فلو لم يكن على شرطه ما فعل ذلك.

٤ـ علقه بصيغة الجزم، فلو لم يصح عنده لم يفعل ذلك .

٥ـ أنا لو أضربنا عن هذا كله، فالحديث صحيح متصل عند غيره.

ففي هدي الساري (١/ ٤٤) : رواية هشام بن عمار وصلها الحسن بن سفيان في مسنده، والإسماعيلي والطبراني في الكبير وأبو نعيم، من أربعة طرق، وابن حبان في صحيحه وغيرهم.

قال الإسماعيلي في المستخرج : حدثنا الحسن بن سفيان النسوي الإمام قال حدثنا هشام فذكره.

وقال الطبراني في مسند الشاميين: حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الصمد حدثنا هشام بن عمار.

ذكر ذينك العراقي في شرح ألفية الحديث (١/ ٣٤).

ووصله أيضا أبو ذر فقال : حدثنا هشام بن عمار.

ذكره في فتح الباري (١٠/ ٤٣٢).

وقال السخاوي : وقع لي من حديث عشرة من أصحاب هشام عنه، بل لم ينفرد به كل من هشام ولا صدقة ولا ابن جابر، ذكره في حاشية شرح ألفية العراقي (١/ ٣٤) .

فاتضح بذلك أيها القارئ الكريم أن حديث البخاري متصل صحيح، لا مطعن فيه لأحد، فانعم النظر أيها المسلم في كلام الأئمة، الذي قالوه في الذب عن حديث هشام الثابت، يتبين لك بطلان حجة من قدح فيه ، واعمل بما دلت عليه النصوص من تحريم المعازف بأنواعها، والإنكار على من يستعملها.

وفيما ذكرت من الأدلة كفاية لمن ينظر بعين العدل، لا بشيطانه وهواه.

وقد ذكر الكاتب حديث ابن عمر الذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع أصبعيه في أذنيه لما سمع مزماراً، وقال إنه صحيح، وقد ذكر أبو علي اللؤلؤي أن أبا داود قال : هو حديث منكر.

وأما احتجاجه بحديث عائشة قالت : دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم

بعاث ... الحديث.

فلا يسلم له ذلك، فإن عائشة قالت: وليستا بمغنيتين، فهذه الكلمة تدفع احتجاجه بهذا الحديث ، والجاريتان كانتا تغنيان بالأشعار الحماسية، التي تبعث على الشجاعة والأخلاق الكريمة ، فلا يصح الاستدلال بحديث عائشة على إباحة الأغاني الموجودة في الإذاعات، لأنها من المعازف المحرمة.

أرجو من الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا، ويهدينا إلى ما فيه الخير .

نشر هذا المقال في مجلة راية الإسلام : السنة الثانية : العددان الثاني والثالث : محرم وصفر ١٣٨١هـ

الوثنية وخطرها

لقد تنكر بعض من المسلمين لدينهم، ولمبادئ الإسلام السامية، وساروا في ركاب الملحدين والمشعوذين، وصاروا يهدمون مجدهم بأفعالهم وأقوالهم، فصدقوا دعاة الوثنية فوقعوا في الشرك الجلي، الذي لا يغفر ولا يبقى معه عمل، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ (الزمر: الآية ٦٥-٦٦).

فشابهوا بأعمالهم هذه ما كان عليه المشركون، الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله ، فأبعدوا بهذه الأعمال عن دينهم، وصاروا حرباً عليه وأتباعه.

ولقد انتشر الجهل، وسرت الأمراض في المجتمع، من سؤال الموتى قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

فهذا ينذر للخليل ذبيحة إن شفى مريضه، وذاك يذهب للبدوي إن نزل به كربة وذا وذا .... الخ.

وهذا يؤسف كل مسلم غيور على دينه وإخوانه المسلمين .

ولقد وصل إلي من بعض الإخوان قصيدة لأحد الحجاج عام

١٣٧٩هـ وهو محمد فؤاد القسطلي من حلب، قالها بمناسبة الحج وزيارة الرسول ـ على حد قوله ـ.

ولقد وزعت هذه القصيدة على كثير من الحجاج، ومن القاطنين في المدينة المنورة، وقد ختم الشاعر قصيدته بأبيات صارخة بالشرك الأكبر ، وإليك أيها القارئ الكريم هذه الأبيات ، قال :

على الرسول يصلي مقبلا فرحاً والصاحبين ويرجو الفضل والعونا
يدعوه يا مصطفى أدرك محمدنا فالدين أصبح في ذا العصر مغبونا

وقال أيضا :

دارك رسول الهدى فالدين فوق شفا هارٍ يذوب وعنه الناس لاهونا

فانظر أيها المسلم الغيور، كيف صرف الدعاء المختص بالله إلى النبي ﷺ، وسؤاله التفريج والغوث، وجعله إلهاً يسأل ويدعى ، وهذا في الحقيقة كأعمال المشركين، الذين نزل فيهم القرآن، ونددد بما كانوا عليه ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه عبدُ الله ورسوله، ليس بإله حتى يسأل منه جلب نفع أو دفع ضر.

والأدلة على بطلان ما ذهب إليه صاحب الأبيات واضحة بحمد الله من الكتاب والسنة ، وأنا أذكر طرفاً منها تعليماً للجاهل وتنبيهاً للغافل:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن:١٨)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (الكهف: من الآية ١١٠)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (الجن:٢١)

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٨٨).

وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ فقام صلى الله عليه وسلم: يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت رسول الله، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا)[1].

وروى النسائي عن ابن عباس أن رجلا قال للنبي ﷺ: ما شاء

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠١٢) باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب.

الله وشئت ، فقال : (أجعلتني لله ندا ، ما شاء الله وحده) [١].

وروى الطبراني أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال صلى الله عليه وسلم : (إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله) [٢].

وفي الصحيح عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) [٣] .

فهل أيها القارئ بعد هذه الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، يجوز لذي لب أن يدعو غير الله جل شأنه، من نبي، أو ملك، أو غيرهما.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٤٥) كما أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٧) وأحمد (١/ ٢١٤،٢٢٤ ، ٢٨٣ ،٣٤٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٦)، ورواه بلفظ آخر الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٣١٧ / ٢٢٧٥٨) ، وابن سعد في الطبقات (١ / ٣٨٧)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٧١).

فيتحتم على صاحب القصيدة أن يرجع عما قال، وأن يسأل الله وحده حتى ينضوي تحت لواء : لا إله إلا الله ، فيكون من أحبابه بإذن الله.

والله المسؤول أن يوفق عباده لفهم لا إله إلا الله، والعمل بذلك، وأن يعيد للمسلمين مجدهم وعزهم، إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله على نبينا محمد .

نشر هذا المقال في وقته في صحيفة المدينة عام ١٣٨٠هـ